رِيُّ الظَّمْآنِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الإِيمَانِ

لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

٤

الإيمان بالكتب

تأْلِيفُ

أَبِي حَمْزَةَ غَازِي بْنِ سَالِمٍ أَفْلَح

إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي

عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَايِخِهِ وَجَمِيعِ المسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالرسل

الإيمان بالكتب

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالقدر خيره وشره

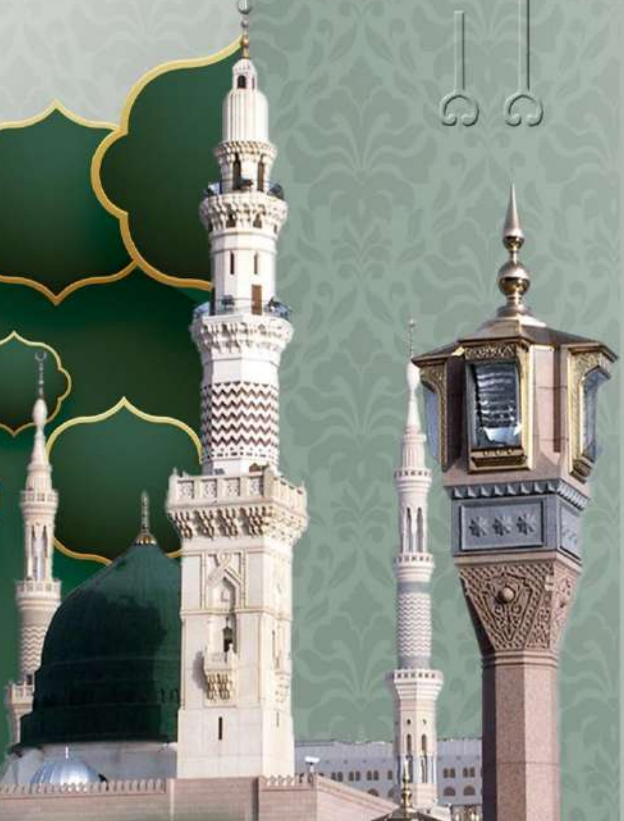

سلسلة: ريِّ الـظَّمْـآن بِمَجالِس شُعَبِ الإيمَـانِ (٤)

الإِيْمَانُ بالكتب المنزلة

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي — الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي — الشيخ محمد بن عبد الله باموسى

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com

مكتبة دروس الدار

الإمارات العربية المتحدة – الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

الركن الرابع من أركان الإيمان

الإيمان بالكتب

المجلس السابع عشر (١)

الشعبة الرابعة من شعب الإيمان: الإيمان بالكتب المنزلة

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان:

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول العقيدة، لا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وجوب اليقين في الإيمان بالكتب وسائر أصول الإيمان:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الْيَقِين هُوَ الْإِيمَان الْجَازِم الثَّابِت الَّذِي لَا ريب فِيهِ وَلَا تردد وَلَا شكّ وَلَا شُبْهَة بِخَمْسَة أصُولٍ ذكرهَا سُبْحَانَهُ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] وَفِي قَوْله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء] وَفِي قَوْله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وَالْإِيمَان بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر دَاخل فِي الْإِيمَان بالكتب وَالرسل، وَجمع بَينهمَا النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيث عمر رضي الله عنه فِي قَوْله: «**الْإِيمَان أَن تؤمن بِاللَّه وَمَلَائِكَته وَكتبه وَرُسُله وَالْيَوْم الآخر**» (٢) فَهَذِهِ الْأُصُول الْخمس من لم يُؤمن بهَا فَلَيْسَ بِمُؤْمِن وَالْيَقِين أَن يقوم الْإِيمَان بهَا حَتَّى تصير كَأَنَّهَا مُعَاينَة للقلب مُشَاهدَة لَهُ نسبتها إِلَى البصيرة كنسبة الشَّمْس وَالْقَمَر إِلَى الْبَصَر وَلِهَذَا قَالَ من قَالَ من السّلف: «**الْيَقِينُ**

---

(١) كان في يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١)

الْإِيمَانُ كُله»[(١)] ا.هـ[(٢)]

ثناء الله على رسله عليهم السلام لتبليغهم كتبه المنزلة:

وقد أثنى الله ﷻ على الرسل الذين يبلغون عن الله كتبَه ورسالاتِه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ثناء الله على رسوله والمؤمنين لإيمانهم بالكتب والرسل:

كما أخبر سبحانه وتعالى أنّ الرسول والمؤمنين آمنوا بما أُنزل من عند الله من كُتُب، يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَبَايَنُوا بِهَذَا الْإِيمَانِ جَمِيعَ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ لِجِنْسِ الرُّسُلِ. وَالْمُصَدِّقِينَ لِبَعْضِهِمْ الْمُكَذِّبِينَ لِبَعْضِهِمْ ا.هـ[(٣)]

ذم المفرقين بين كتب الله:

وذم الله تعالى المفرقين بين كتبه فقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝١٥١ ﴾ [النساء]

---

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم عن ابن مسعود رضي الله عنه. ووصله وكيع في الزهد (٢٠٣) وسعيد بن منصور في التفسير ط الألوكة (٧/ ٢٧١) رقم (١٩٢٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (٨١٧) والحاكم في المستدرك (٣٦٦٦) وقال صحيح الإسناد. وروي مرفوعا ولا يصح كما في السلسلة الضعيفة (٤٩٩). ورواه سعيد بن منصور (١٩٢٧) أيضا وابن أبي الدنيا في الشكر (٥٨) عن الشعبي.

(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه - ط عطاءات العلم (١/ ٢١)

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٥).

ذم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين:

ووصفهم سبحانه بـ: ﴿ ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ﴾ [الحجر] أَي: الْمُتَحَالِفِينَ، عَلَى مُخَالَفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَكْذِيبِهِمْ وَأَذَاهُمْ، وكَانُوا لَا يُكَذِّبُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَقْسَمُوا عَلَيْهِ، فَسُمُّوا مقتسمين. ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ ﴾ [الحجر] أي: جَزَّؤوا كُتُبَهُمُ الْمُنَزَّلَةَ عَلَيْهِمْ، فَآمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ[١].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «**هُمْ أَهْلُ الكِتَابِ [اليَهُودُ وَالنَّصَارَى] جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ**» رواه البخاري[٢]

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَضوه أَعْضَاءً، قَالُوا: سِحْرٌ، وَقَالُوا: كِهَانَةٌ، وقَالُوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[٣]

مشابهة المشركين لأهل الكتاب في التكذيب بالقرآن:

وما ذكره مجاهد يصدق على أهل الكتاب كما يصدق على المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فقد روى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ سَعِيدٍ أَوْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيَرُدُّ قَوْلُكُمْ بَعْضَهُ بَعْضًا قَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُلْ بِهِ فَقَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا وَأَسْمَعُ قَالُوا: نَقُولُ إِنَّهُ كَاهِنٌ قَالَ: مَا هُوَ بِكَاهِنٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ قَالُوا: فَنَقُولُ: إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ قَالُوا: فَنَقُولُ إِنَّهُ شَاعِرٌ، قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ لَقَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ فَمَا هُوَ بِالشَّاعِرِ قَالُوا: فَنَقُولُ سَاحِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحَّارَ وَسِحْرَهُمْ فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ قَالُوا: فَمَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٥٤٩)

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٤٥،٤٧٠٦) والزيادة رواية له. واستدركه الحاكم (٣٣٥٤) وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال: ذا أخرجه البخاري ا.هـ وكذا تعقبه الحافظ في إتحاف المهرة (٧٢٩٠)

(٣) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٤/ ٥٤٩)

قَالَ: **وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ**(١) وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لَأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ.(٢)

وفي المستدرك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا **وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ**. قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ الآيات(٣).

أي أَنْزَلَ اللهُ عز وجل فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الآيات: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾

---

(١) قال السهيلي في الروض الأنف ت تدمري (٣/ ١٩): وَقَوْلُ الْوَلِيدِ إنّ أَصْلَهُ لَعَذْقٌ وَإِنّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ. اسْتِعَارَةٌ مِنْ النّخْلَةِ الّتِي ثَبَتَ أَصْلُهَا، وَقَوِيَ وَطَابَ فَرْعُهَا إذَا جَنَى، وَالنّخْلَةُ هِيَ الْعَذْقُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ا.هـوقال ابن الركب الأندلسي في الإملاء المختصر في شرح غريب السير (ص٨٥): قوله: وإن فرعه لجناة، أي فيه ثمر يجنى ا.هـ

(٢) سيرة ابن اسحاق "السير والمغازي" (ص١٥٠) ومن طريقه رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٩) وفي شعب الإيمان (١٣٤)، وعلقه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٨٣)، ورواه أبو نعيم من طريق آخر عن ابن إسحاق به عن عكرمة -ليس فيه ابن عباس رضي الله عنهما-. وعن عكرمة رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨٣) والطبري في تفسيره جامع البيان ط هجر (٢٣/ ٤٢٩).

(٣) المستدرك على الصحيحين (٣٨٧٢) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨) وفي شعب الإيمان (١٣٣) وأشار البيهقي إلى إعلاله بالإرسال فقال في شعب الإيمان (١/ ٢٨٨): هكذا حدثناه موصولا، ورواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة مرسلا، وذكر الآية التي قرأها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]. ا.هـوانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٢٢٥).

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المدثر]

دليل الإيمان بالكتب من القرآن:

هذه الكتب من عند الله ﷻ والله ﷻ أمر المؤمنين أن يؤمنوا بها فقال ﷻ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة].

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: فَجَعَلَ الْقَوْلَ فَرْضًا حَتْمًا، كَمَا جَعَلَ مَعْرِفَتَهُ فَرْضًا، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ يَقُولَ: اعْرِفُونِي بِقُلُوبِكُمْ ثُمَّ أَوْجَبَ مَعَ الْإِقْرَارِ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ كَإِيجَابِ الْإِيمَانِ ا.هـ[1]

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ الآية. [البقرة: ١٧٧]

وفي الآية المباركة: أن تحقق ماهية البر لا يكون إلا بأمور لا بد منها أولها: الْإِيمَانُ بِأُمُورٍ خَمْسَةٍ وهي: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ والإيمانُ بالكتب والإيمان بالرسل.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [العنكبوت]

قال الطبري رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَمَا أَنْزَلْنَا الْكُتُبَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الرُّسُلِ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ يَقُولُ: وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيكَ الْيَوْمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه، وَمَنْ آمَنَ بِرَسُولِهِ مِنْ بَنِي

---

(١) كتاب الإيمان (ص٦٠).

إِسْرَائِيلَ ا.هـ[(١)]

وقال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أَيِ: الَّذِينَ أَخَذُوهُ فتلَوْه حَقَّ تِلَاوَتِهِ مِنْ أَحْبَارِهِمُ الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَأَشْبَاهِهِمَا. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾، يَعْنِي الْعَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ا.هـ[(٢)]

إهلاك الله المكذبين بكتبه:

ومما يدل على منزلة الإيمان بالكتب في الدين أيضًا أن الله تعالى أهلك الأمم السابقة بسبب تكذيبهم بهذه الكتب كما أخبر الله ﷻ عن نبيه صالح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام -الذي كان يسميه بعض السلف خطيب الأنبياء عليهم السلام[(٣)]- ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأعراف]

كفر المكذبين بالكتب المنزلة:

والمكذبون بالكتب المنزلة أو ببعضها كفار مستحقون للعذاب إذ لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بجميع الكتب المنزلة، كما تقدم. يقول ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٨/ ٤٢٣)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٢٨٥)

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٨٥) عن الثوري قال: " كَانَ يُقَالُ: شُعَيْبٌ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ " ورواه ابن أبي حاتم (٨٧٢٥) عن الإمام مالك أنه قال: كَانَ شُعَيْبٌ عليه السلام خَطِيبَ الأَنْبِيَاءِ. وفي تفسير الطبري (١٠/ ٣٢٣): بسنده عن ابنِ إِسْحَاقَ قال: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَ لِي يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ إِذَا ذَكَرَ شُعَيْبًا، قَالَ: «ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ» لِحُسْنِ مُرَاجَعَتِهِ قَوْمَهِ فِيمَا يُرَادُ بِهِمْ.

ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء].(١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالْمُؤْمِنُ بِبَعْضِ الرِّسَالَةِ دُونَ بَعْضٍ كَافِرٌ أَيْضًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النساء] وقَالَ تَعَالَى - يُخَاطِبُ أَهْلَ الْكِتَابِ -: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء]. فَذَمَّ الَّذِينَ أُوتُوا قِسْطًا مِنْ الْكِتَابِ لَمَّا آمَنُوا بِمَا خَرَجَ عَنْ الرِّسَالَةِ وَفَضَّلُوا الْخَارِجِينَ عَنْ الرِّسَالَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... وَكَمَا ذَمَّ الْمُدَّعِينَ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا وَهُمْ يَتْرُكُونَ التَّحَاكُمَ إلَى

---

(١) قال الطيبي في فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٥/ ١٩٢): لم يذكر فيه الإيمان بالملائكة واليوم الآخر -يعني في صدر الآية-. وأجيب أن الإيمان بالكتب المنزلة إيمانٌ بالملائكة الذين نزلوا بها- ولذلك كرر "نزَّلَ" - وإيمانٌ باليوم الآخر لاشتمال الكتب عليه ا.هـ وانظر: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٩٩)

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَتَحَاكَمُونَ إِلَى بَعْضِ الطَّوَاغِيتِ الْمُعَظَّمَةِ مِن دُونِ اللَّهِ ... وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الْكِتَابِ الَّذِينَ يُؤْمِنُ كُلٌّ مِنْهُمْ بِبَعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة] ... وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ﴾ [الشورى: ١٥] فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيَمْنَعَ كُلَّ مُبْطِلٍ عَنْ بَاطِلِهِ؛ فَإِنَّ الْقِسْطَ وَالْعَدْلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فِيمَا جَاءَ بِهِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة] إِلَخ السُّورَةِ. وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ: قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **«أُعْطِيهِمَا مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»**(١) **«وَأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَهُ»**(٢). وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ **«أَنَّهُ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»**(٣) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٢٥١) من حديث حذيفة رضي الله عنه وأصله في صحيح مسلم (٥٢٢)

(٢) أخرجه الإمام مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٧) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

﴿ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة] ...إلخ[١]

دليل الإيمان بالكتب من السنة:

وجاء في حديث جبرائيل المشهور عليه السلام أنه قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٢].

فبيّنَ له النبيُّ ﷺ أنّ الإيمان بالكتب أحدُ أركان الإيمان.

وجاء في دعاء النبي ﷺ من أدعية النوم أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ**»[٣] قوله: «**وَالْفُرْقَانِ**» أي القرآن.

وروى الإمام مالك عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ، مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَادَى أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ لَحِقَهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ. وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا**»، قَالَ أُبَيٌّ فَجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْيِ رَجَاءَ ذَلِكَ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ السُّورَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: «**كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟**» قَالَ فَقَرَأْتُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: ٢]، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ**»[٤]

ورواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٣٨) وما بعدها.

(٢) أخرجه مسلم (١) من حديث عمر رضي الله عنه. وهو في البخاري (٥٠) ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٨٣/ رقم ٣٧)، وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٤/ ٤٣٣): هَذَا مُرْسَلٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. ولكن اخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى الْعَلَاءِ، فَرَوَاهُ الدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه...أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ا.هـ قلت: وصله عن مالك زيد بن الحباب كما في تفسير الطبري (١٤/١٢٢/ط هجر) والقعنبي كما في المستدرك للحاكم (٢/٢٥٨) فقالا: عن مالك عن أبي سعيد مولى عامر، عن أبيّ بن كعب ا.هـ والمرسل عن مالك أصح ويشهد له ما بعده.

سُورَةً مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا؟» قُلْتُ: بَلَى. ...الحديث.(١) وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أُبَيٍّ ﷺ قال ﷺ: «**[يقول الله تعالى] مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»(٢) وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَرَأَ عَلَيْهِ أُبَيٌّ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ ...فذكره نحوه بمعناه مطولا(٣). فهذه الأدلة كلُّها تدل على ما أمر الله ﷻ به من الإيمان بالكتب المنزلة.

قال الحافظ ابن بطة ﷺ: "وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله وبجميع ما قال الله ﷻ فهو حق لازم فلو أن رجلًا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئًا واحدًا كان بِرَدِّ ذلك الشيء كافراً عند جميع العلماء" (٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزله الله من الكتب"(٥).

وقال تلميذه الحافظ ابن كثير ﷺ: "أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصّلًا، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا، ونصّ على أعيانٍ من الرسل، وأجمل ذِكْرَ بقية الأنبياء، وألّا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم"(٦).

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٥/ ٢١/ ط الرسالة) -ومن طريقه الضياء في "المختارة" (١٢٣٣) -؛ وأخرجه عبد بن حميد (١٦٥)، والطبري في "التفسير" ٥٨/١٤، وابن خزيمة (٥٠٠)، وابن المنذر في الأوسط (١٣٠٠) والحاكم (٥٥٧/١ و٢٥٧/٢-٢٥٨) وقال صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في "القراءة خلف الإمام" (١٠٣) وفي شعب الإيمان (٢١٣٩)، والضياء في "المختارة" (١٢٣٤) من طرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة به.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣٢١٥) والنسائي في سننه (٩١٤) وابن حبان في صحيحه (٧٧٥) من طريق أخرى عن عبد الحميد بن جعفر به. والزيادة لابن حبان.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٧٥ و٣١٢٥م) وأحمد (٣٥٧/٢، ٤١٢) وغيرهم وانظر: المسند المصنف المعلل (١٤٥/١).

(٤) الإبانة لابن بطة (٢١٠).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٧١/٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٤٤٨/١).

عيب أهل الكتاب على المؤمنين إيمانهم بالكتب:

ومن جحود اليهود والنصارى أهل الكتاب وكفرهم وعنادهم أنهم عابوا على المؤمنين إيمانهم بالكتب المنزلة كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة]. أي: هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا أننا آمنا بالله ووحدناه، وآمنا بجميع كتبه ورسله، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب.[١]

قال أبو حيان: وهذه محاورة لطيفة وجيزة تنبه الناقم على أنه ما نقم عليه إلا ما لا ينقم ولا يعد عيبا ا.هـ[٢]

ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج] أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن ينكر.

ومثله قول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

تكرار ذكر الإيمان بالكتب في سورة البقرة:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْوَاحِدَةُ -يعني سورة البقرة- جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ وَأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، وَافْتَتَحَهَا بِالْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، وَوَسَّطَهَا بِالْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، وَخَتَمَهَا بِالْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ. **فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ هُوَ عَمُودُ الْإِيمَانِ وَقَاعِدَتُهُ وَجِمَاعُهُ** ا.هـ[٣]

يشير رحمه الله تعالى إلى قوله تعالى في أولها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة] فَالْإِيمَانُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ

---

(١) انظر: تفسير الطبري ط هجر (٨/ ٥٣٧)، وتفسير ابن جزي "التسهيل لعلوم التنزيل" (١/ ٢٣٦)

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣٠٣)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٦٤) وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٥)

يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ فَتَضَمَّنَتْ الْإِيمَانَ بِالْقَوَاعِدِ الْخَمْسِ.

وقال تعالى في وسطها: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ الآية. [البقرة: ١٧٧]

وقال تعالى في آخرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وَالْإيمان بِالله وَالْيَوْم الآخر دَاخل فِي الْإِيمَان بالكتب وَالرسل كما تقدم عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]

الإيمان بالكتب يتضمن جملة من الأمور:

ويتضمن الإيمان بالكتب:

١- الإيمان بأنها وحي أنزلت من عند الله حقاً.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ يَتَشَعَّبُ شُعَبًا، فَأُولَاهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ مِنْ وَضْعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مِنْ وَضْعِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ... فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ... ثم ذكر الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ... الْأُمَّةَ اجْتَمَعَتْ مَعَ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ، عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ مَخْصُوصًا بِفَضْلِ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْ كَانَ إِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ مَخْلُوقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَاصِيَّةٌ، ...إلخ ا.هـ[٢]

٢- والإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نُزِّل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتوراة التي أُنزلت على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والإنجيل الذي نزل على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والزبور الذي أوتيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأما ما لم نعلمه من الكتب المنزلة فنؤمن به إجمالاً. قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَنُؤْمِنُ بِمَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا فِي كِتَابِهِ، مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سِوَى ذَلِكَ كُتُبًا أَنْزَلَهَا عَلَى

---

(١) انظر: (ص٧).

(٢) شعب الإيمان (١/ ٣٢٦).

أَنْبِيَائِهِ، لَا يَعْرِفُ أَسْمَاءَهَا وَعَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ا.هـ[١]

٣- تصديق ما صح من أخبارها: كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل، أو يحرف من الكتب السابقة.

٤- العمل بما لم ينسخ منها، والرضا، والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

يقول الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله تعالى في (شعب الإيمان): "الرابع من شعب الإيمان: الإيمانُ بالقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ وسائرِ الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ... (ثم ذكر جملة من الآيات التي قرأناها، وقال بعد ذلك): والإيمان بالقرآن يتشعّبُ شعبًا:

فأولاها: الإيمان بأنه كلام الله تبارك وتعالى وليس من وضع محمد ﷺ ولا من وضع جبريل عليه السلام.

والثانية: الاعتراف بأنه معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه.

والثالثة: اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يَفُتْ منه شيءٌ، ولم يضع بنسيان ناس ولا ضلال صحيفة ولا موت قارئ ولا كتمان كاتم، ولم يحرّفْ منه شيءٌ، ولم يُزَدْ فيه حرف ولم يُنقَصْ منه حرف. (ثم ذكر الأدلة الدالة على هذه الأمور الثلاثة، وقال بعد ذلك):

وأما الإيمان بسائر الكتب مع الإيمان بالقرآن فهو نظير الإيمان بسائر الرسل مع الإيمان بنبينا ﷺ وعليهم أجمعين، والذي يحق علينا معرفته في كلام الله أن نعرف: أن كلامه صفة من صفات ذاته يقوم به. وكلامه مقروء في الحقيقة بقراءتنا. محفوظ في قلوبنا. مكتوب في مصاحفنا. غير حالٍّ فيها. كما أن الله-تعالى-مذكورٌ في الحقيقة

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٤٢٤).

بألسنتنا، معلومٌ في قلوبنا، معبودٌ في مساجدنا غيرُ حالٍّ فيها. وكلام الله إذا قُرِئ بالعربية سُمِّيَ قرآنًا، وإذا قُرِئَ بالسريانية سُمِّيَ إنجيلًا، وإذا قُرِئ بالعبرانية سُمِّيَ توراة"(١)

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ، فَالْإِقْرَارُ بِهِ، وَاتِّبَاعُ مَا فِيهِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ. فَعَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ أَتَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا حَقٌّ وَهُدًى وَنُورٌ وَبَيَانٌ وَشِفَاءٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦]

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ﴾ [آل عمران].

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهَا، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِهِ. وَفِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ وَالْعُلُوِّ...إلخ(٢)

الاقتصار على القرآن:

قال البيهقي: "وإنما يجوز في هذه الشريعة قراءةُ ما سُمِّيَ قرآنًا دون ما سُمِّيَ توراة وإنجيلًا؛ لأن الله كذّب أهلَ التوراة والإنجيل الذين كانوا على عهد نبينا ﷺ، وأخبر عن خيانتهم وتحريفهم الكلامَ عن مواضعه ووضعهم الكتاب ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩] ﴿ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٨ ﴾ [آل عمران]. فلا يأمن المسلم إذا قرأ شيئًا من كتبهم أن يكون ذلك من وضع اليهود والنصارى ...إلخ"(٣) .

---

(١) شعب الإيمان (١/٣٢١-٣٤٥).

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).

(٣) شعب الإيمان (١/٣٤٥).

التحريف في الكتب السابقة:

وهنا يبين لنا الإمام البيهقي رحمه الله ما قد ثبت بلا شك من تحريف أهل الكتاب للكتب المنزلة. قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران]

وفي الصحيحين عن مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ**»؟ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه، كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، ثُمَّ قَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ[١].

النهي عن النظر في الكتب المحرفة والاكتفاء بالقرآن:

ولذا جاء النهي عن النظر في كتبهم -لغير حاجة شرعية-، كما روى مُجَالِدٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ كِتَابًا حَسَنًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» وفي رواية: أَنَّ عُمَرَ بْنَ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ت عبد الباقي (٢/ ٨١٩) رقم (١)، ومن طريقه رواه البخاري (٣٦٣٥، ٦٨٤١) ومسلم (١٦٩٩).

الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِنُسْخَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَسَكَتَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، مَا تَرَى بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «**رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا**». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي، لَاتَّبَعَنِي**»(١)

وقيل للحسن البصري رحمه الله: ما «**مُتَهَوِّكُونَ**»؟ فقال: متحيّرون. وعلق عليه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فقال: يقول: أمتحيّرون أنتم فى الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنّصارى؟ قال أبو عبيد: فمعناه أنّه كره أخذ العلم من أهل الكتاب ا.هـ(٢)

وقال البغوي رحمه الله: قَوْلُهُ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ**» أَيْ: مُتَحَيِّرُونَ أَنْتُمْ فِي الإِسْلامِ، لَا تَعْرِفُونَ دِينَكُمْ حَتَّى تَأْخُذُوهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. وَقَوْلُهُ: «**بَيْضَاءَ نَقِيَّةً**» أَرَادَ الْمِلَّةَ، لِذَلِكَ جَاءَ التَّأْنِيثُ، كَقَوْلِهِ سبحانه وتعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [الْبَيِّنَة: ٥] أَيْ: تَفْسِيرُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ الْحَنِيفِيَّةِ ا.هـ(٣)

وروى الإمام مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ كَعْبُ الأَحْبَارِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ مُصْحَفًا، قَدْ تَشَرَّمَتْ حَوَاشِيهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي هَذِهِ التَّوْرَاةُ فَأَقْرَؤُهَا؟ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا التَّوْرَاةُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى، يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ، فَاقْرَأْهَا آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَإِلاّ فَلَا**»، فَرَاجَعَهُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥١٥٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٤٢١) -ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٤٩٧)- والدارمي (٤٤٩) والرواية الأخرى له. والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٥) وفي إسناده مجالد وهو ضعيف، لكن للحديث طرق أخرى ولذا حسنه العلامة الألباني في الإرواء (١٥٨٩)

(٢) غريب الحديث (٢/ ٣٢٤)

(٣) شرح السنة (١/ ٢٧١)

كَعْبٌ، فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ[١]. قال العلامة القنازعي رحمه الله: ففِي هذَا مِنَ الفِقْهِ: أَنَ عُمَرَ كَرِهَ أَنْ يُقرأَ مِنَ الكُتُبِ الأُوَلِ شَيءٌ إلَّا مَا صَحَّ أنهُ مُنَزَّلٌ مِن عِنْدِ اللهِ تبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يُحَرَّفْ ولَمْ يُبَدَّلْ، وفيهِ: أَنَّ كَعْبَ الأَحْبَارَ قَدْ عَلِمَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ قَدْ حَرَّفُوا التَّوْرَاةَ، إذ لَمْ يُخبِرْ عُمَرَ بأن في ذَلِكَ المُصْحَفِ التَّوْرَاةَ المَنْزُولَةَ غَيْرَ المُبَدَّلَةِ ا.هـ.[٢]

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: ومن صَحَّ عندَهُ شيءٌ من التَّوراةِ بنَقلِ مِثلِ ابن سَلام رضي الله عنه وغيرِهِ من أحبارِ اليهُودِ الذين أسْلَمُوا، جازَ لهُ أن يَقْرأهُ ويعملَ بما فيه إن لم يَكُن مُخالِفًا لِما في شَرِيعتِنا، من كِتابِنا وسُنَّةِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم،...ثم ذكر قول عمر لكعب المتقدم.[٣]

حكم الرواية عن أهل الكتاب:

وفي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[٤]

قال الحافظ: وَقَالَ مَالِكٌ الْمُرَادُ جَوازُ التحدث عَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ حَسَنٍ أَمَّا مَا عُلِمَ كَذِبُهُ فَلَا؛ وَقِيلَ الْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ... وَقَالَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَا يُجِيزُ التَّحَدُّثَ بِالْكَذِبِ فَالْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ كَذِبَهُ وَأَمَّا مَا تُجَوِّزُونَهُ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّحَدُّثِ بِهِ عَنْهُمْ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»[٥] وَلَمْ يَرِدِ الْإِذْنُ وَلَا الْمَنْعُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِمَا يُقْطَعُ بِصِدْقِهِ. ا.هـ[٦]

وروى الإمام البخاري أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ

---

(١) «موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري» (١/ ١٠٨) رقم (٢٧٥) ورواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ٩٥٠) من طريق معن عن مالك. وفيه انقطاع، زيد لم يدرك عمر رضي الله عنه.

(٢) تفسير الموطأ (١/ ٢٣٨)

(٣) التمهيد - ابن عبد البر (٩/ ٢٧٧ ت بشار)

(٤) صحيح البخاري (٣٤٦١)

(٥) سيأتي (ص٢٧) وانظر الحديث الآتي.

(٦) فتح الباري (٦/٤٩٨-٤٩٩)

التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ**، وَ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]» الآيَةَ وزاد في رواية: «... **وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**» الآيَةَ[١] ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وذكر الآية تامة ولفظه: « ... ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت] »[٢]

وفي الحديث: النَّهْيُ عَنْ تَصْدِيقِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَا يُعْرَفُ صِدْقُهُ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِمْ.[٣]

وقال الحافظ: قَوْلُهُ «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ**» أَيْ إِذَا كَانَ مَا يُخْبِرُونَكُمْ بِهِ مُحْتَمَلًا لِئَلَّا يَكُونَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ صِدْقًا فَتُكَذِّبُوهُ أَوْ كَذِبًا فَتُصَدِّقُوهُ فَتَقَعُوا فِي الْحَرَجِ ا.هـ[٤]

وأرشد في الحديث إلى ما هو الصواب فيه، وهو أن يقول المسلمون إذا حدّثهم أهل الكتاب: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾. قال الحافظ: وَلَمْ يَرِدِ النَّهْيُ عَن تكذيبهم فِيمَا ورد شرعنا بِخِلَافِهِ وَلَا عَنْ تَصْدِيقِهِمْ فِيمَا وَرَدَ شَرْعُنَا بوفاقه نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ التَّوَقُّفُ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْمُشْكِلَاتِ وَالْجَزْمِ فِيهَا بِمَا يَقَعُ فِي الظَّنِّ وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ مِنْ ذَلِكَ. ا.هـ[٥]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ [مَحْضًا] لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوه [وَكَتَبُوا] بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢) والزيادة المذكورة مع ما قبلها ليس بآية.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٧٠/٩) وهو في السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٢١١) رقم (١١٣٢٣) وشعب الإيمان للبيهقي (٤٨٤٢)

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/ ٢٩٢)

(٤) فتح الباري (١٧٠/٨)

(٥) المرجع السابق

فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ»[(١)]

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَتُكَذِّبُوا بِحَقٍّ أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَيُضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ»[(٢)] وفي رواية: «... إِلَّا فِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ». وَالتَّالِيَةُ: الْبَقِيَّةُ.[(٣)] وزاد في رواية: قَالَ: «إِنْ كُنْتُمْ سَائِلِيهِمْ لَا مَحَالَةَ فَانْظُرُوا مَا وَاطَأَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ»[(٤)]

قال ابن بَطَّالٍ رحمه الله: قال المهلب: قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ» إنما هو في الشرائع لا تسألوهم عن شرعهم فيما لا نعرفه من شرعنا لنعمل به؛ لأن شرعنا مكتف وما لا نص فيه عندنا ففي النظر والاستدلال ما يقوم الشرع منه. وأما سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم من الأخبار عن الأمم السالفة فلم ننه عنه. فإن قيل: فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]. قيل: ليس هذا بمفسد لما تقدم من النهى عن سؤالهم؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكًا ولا مرتابًا، وقال أهل التأويل: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الشكاك كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق: ١]، وتقديره: إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على نبينا. كقولهم: إن كنت ابني فبرني. وهو يعلم أنه ابنه، فإن قيل: فإذا كان المراد بالخطاب غير النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يجوز سؤال الذين يقرءون الكتاب مع جحدهم النبوة؟ ففيه قولان: أحدهما: سل من آمن من أهل الكتاب كابن سلام، وكعب الأحبار. عن ابن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٢، ٧٥٢٣) واستدركه الحاكم فرواه في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣٠٤١) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه!. وتعقبه الحافظ في إتحاف المهرة (٧/ ٣٨٤) وقال: قد أخرجه البخاري ا.هـ وانظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٠٤)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣١٣) رقم (٢٦٤٢٤) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني (٦/ ١١١) رقم (١٠١٦٢) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٣٤/١٣) وانظر: موافقة الخبر الخبر (١١٩/١)

(٤) المرجع السابق

عباس والضحاك، ومجاهد وابن زيد. الثاني: سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشر به فى كتبهم، ثم انظر ما يوافق تلك الصفة ا.هـ(١)

الأحاديث الإسرائيلية ثلاثة أقسام:

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الْأَحَادِيثَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ تُذْكَرُ لِلِاسْتِشْهَادِ، لَا لِلِاعْتِضَادِ، فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ، فَذَاكَ صَحِيحٌ.

وَالثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نُكَذِّبُهُ، وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ؛ وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي هَذَا كَثِيرًا، وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَلَوْنَ كَلْبِهِمْ، وَعِدَّتِهِمْ، وَعَصَا مُوسَى مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ كَانَتْ؟ وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْقَتِيلُ مِنَ الْبَقَرَةِ، وَنَوْعَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا دِينِهِمْ. وَلَكِنَّ نَقْلَ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ ا.هـ(٢)

وفي قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت]

يقول الحافظ ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ يَعْنِي: إِذَا أَخْبَرُوا بِمَا لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ وَلَا كَذِبُهُ، فَهَذَا لَا نُقدم عَلَى تَكْذِيبِهِ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ حَقًّا، وَلَا عَلَى تَصْدِيقِهِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يكون باطلا وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مُجْمَلًا

(١) «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (١٠/ ٣٩١) وانظر: فتح الباري (١٣/٣٣٤)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٩)

مُعَلَّقًا عَلَى شَرْطٍ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُنْزَلًا لَا مُبَدَّلًا وَلَا مُؤَوَّلًا ...ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم «**لا تُصَدِّقوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، ...**» ثم قال: وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَر، أَخْبَرَنَا يُونُس، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي نَمْلَةَ أَنَّ أَبَا نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجِنَازَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَعْلَمُ**». قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ**»(١) قال الحافظ ابن كثير: وَأَبُو نَمْلَةَ هَذَا هُوَ: عُمَارة. وَقِيلَ: عَمَّارٌ. وَقِيلَ: عَمْرُو بْنُ مُعَاذِ بْنِ زُرارة الْأَنْصَارِيُّ، رضي الله عنه. قال: ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُحدّثون بِهِ غالبُه كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَهُ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلٌ وَتَغْيِيرٌ وَتَأْوِيلٌ، وَمَا أَقَلَّ الصِّدْق فِيهِ، ثُمَّ مَا أَقَلَّ فَائِدَةَ كَثِيرٍ مِنْهُ لَوْ كَانَ صَحِيحًا... وَقَالَ الْبُخَارِيُّ(٢): وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيد بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ -وذكَرَ كعبَ الْأَحْبَارِ -فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ.(٣) قال الحافظ ابن كثير

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥، ١٧٢٢٦) وأبو داود (٣٦٤٤) وصححه ابن حبان (٦٢٥٧) وصححه العلامة الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠).

(٢) صحيح البخاري (٧٣٦١)

(٣) قال الحافظ في الفتح: (١٣/ ٣٣٤): أَيْ يَقَعُ بَعْضُ مَا يُخْبِرُنَا عَنْهُ بِخِلَاف مَا يخبرنا بِهِ قَالَ ابن التِّين: وَهَذَا نَحْو قول ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي حَقِّ كَعْبٍ الْمَذْكُورِ: «**بَدَّلَ مَنْ قَبْلَهُ فَوَقَعَ فِي الْكَذِبِ**» قَالَ وَالْمُرَادُ بِالْمُحَدِّثِينَ أَنْدَادُ كَعْبٍ مِمَّنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَسْلَمَ فَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُمْ وَكَذَا مَنْ نَظَرَ فِي كُتُبِهِمْ فَحَدَّثَ عَمَّا فِيهَا قَالَ وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا مِثْلَ كَعْبٍ إِلَّا أَنَّ كَعْبًا كَانَ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَصِيرَةً وَأَعْرَفَ بِمَا يَتَوَقَّاهُ وَقَالَ ابن حِبَّانَ فِي كِتَابِ الثِّقَاتِ: أَرَادَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه أَنَّهُ يُخْطِئُ أَحْيَانًا فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهُ كَانَ كَذَّابًا وَقَالَ غَيْرُهُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ "**لَنَبْلُو عَلَيْهِ**" لِلْكِتَابِ لَا لِكَعْبٍ وَإِنَّمَا يَقَعُ فِي كِتَابِهِمُ الْكَذِبَ لِكَوْنِهِمْ بَدَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَقَالَ عِيَاضٌ: يَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى الْكِتَابِ وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى كَعْبٍ وَعَلَى حَدِيثِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ الْكَذِبَ وَيَتَعَمَّدْهُ إِذْ لَا يُشْتَرَطُ فِي مُسَمَّى الْكَذِبِ التَّعَمُّدُ بَلْ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ فِيهِ تجريح لكعب
=

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقَعُ مِنْهُ الْكَذِبُ لُغَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ؛ لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ عَنْ صُحُفٍ هُوَ يُحْسِنُ بِهَا الظَّنَّ، وَفِيهَا أَشْيَاءُ مَوْضُوعَةٌ وَمَكْذُوبَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّتِهِمْ حُفَّاظٌ مُتْقِنُونَ كَهَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَقُرْبَ الْعَهْدِ وُضِعَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ مَنَحَهُ اللَّهُ عِلْمًا بِذَلِكَ، كُلٌّ بِحَسْبِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ا.هـ[(١)]

تتمة في أن الإيمان بالكتب السماوية يتضمن عدة أمور:

وحاصل ما تقدم -في تحقيق معنى الإيمان بالكتب المنزلة- من المنقول عن العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى، أنهم قالوا: الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن عدة أمور:

الأمر الأول: الكتب السماوية المنزلة كلام الله:

١- فيجب التصديقُ الجازمُ بأن جميعها وحي منزل من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على أنبيائه ورسله، وأنها حق وصدق بغير شك ولا ارتياب. وأن الله تعالى تكَلّم بها حقيقة؛ فهي كلام الله غير مخلوق لا كلام غيره، فليست كلام النبي، ولا جبريل ولا أحد من البشر بل هذه الكتب جميعها من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: الكتب السماوية تدعو إلى توحيد الله:

٢- الأمر الثاني: أن نعتقد أن جميع الكتب دعت إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ودعت إلى نبذ الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

الأمر الثالث: وجوب الإيمان بما صحّ من أخبارها:

٣- الأمر الثالث: أن نؤمن بكل ما فيها من الشرائع، ونصدق بكل ما صحّ من أخبارها كأخبار القرآن، وما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة كما جاء في سورة النجم، فقد ذكر الله بعض الأمور العظيمة التي كانت في كتب سابقة، وحثّنا عليها، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

بِالْكَذِبِ. وَقَالَ ابن الْجَوْزِيِّ: الْمَعْنَى أَنَّ بَعْضَ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ كَعْبٌ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكُونُ كَذِبًا لَا أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ كَعْبٌ مِنْ أَخْيَارِ الْأَحْبَارِ ... إلخ.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/٢٨٥)

أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم] إلى آخر الآيات التي يبين فيها ﷻ أن هذه الكلمات العظيمة موجودة أيضًا في الكتب السابقة. وفي سورة الأعلى التي نقرؤها مرارًا وتكرارًا ذكر الله ﷻ بعض الأمور العظيمة والمواعظ والحكم ثم قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

الأمر الرابع: الكتب السماوية يصدق بعضها بعضًا:

٤- الأمر الرابع: أن نؤمن بأن جميع هذه الكتب يصدِّقُ بعضها بعضًا، لا يكذِّبُه، فلا تناقض بينها، ولا تعارض؛ لأنها كلها من عند الله ﷻ. ولو قال قائل: يوجد في التوراة ويوجد في الإنجيل الآن بعض الأشياء التي تخالف ما عندكم في القرآن. فنقول: هذه محرّفة قد بيّنَ الله ﷻ أنّ أهل الكتاب حرّفُوا وبدّلوا.

الأمر الخامس: النسخ في الكتب المنزلة:

٥- الأمر الخامس: أن نؤمن أن نسخ الكتب بعضها بعضًا حقٌّ كما نَسَخَ الإنجيلُ بعضَ شرائع التوراة، وكما نَسَخَ القرآنُ كثيرًا من شرائع التوراة والإنجيل. فيقع نسخٌ في هذه الكتب بأمر من الله-سبحانه-كما قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ [البقرة: ١٠٦]. وقال الله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه ﴿ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وقال الله تعالى عن نبيه محمد الخاتم ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وهذه الكتب جميعها قد نسخها الله ﷻ بهذا القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم ﷺ.

الأمر السادس: ذِكْرُ ما سُمِّيَ لنا من هذه الكتب المباركة:

٦- الأمر السادس: أن نؤمن بما سمّى الله-تعالى-لنا من هذه الكتب السابقة إجمالًا في الإجمال، وتفصيلًا في التفصيل. وقد جاء في القرآن ذِكْرُ بعض هذه الكتب، وجاء إجمالُ شيءٍ آخر منها، فما جاء مجملًا نؤمن به مجملًا، وما جاء مفصّلًا نؤمن به على جهة التفصيل.

فسُمِّيَ في القرآن من هذه الكتب: صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والزبور، والإنجيل ثم خُتِمَت هذه الكتب السماوية بأفضلها وأشرفها وهو القرآن الكريم.

وقد نزلت جميعا في شهر رمضان كما في المسند عن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**»(١)

فأما **صحف إبراهيم** فهي الكتب التي أنزلها الله على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بوحي منه -سبحانه- وقد نزلت عليه جملةً واحدةً في أول ليلة من شهر رمضان.

وأما **التوراة** فهي اسم كتاب الله الذي أنزله الله على نبيه وكليمه موسى عليه السلام وألقاه إليه مكتوبًا في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدًى ونورًا، وقد نزلت عليه جملةً واحدةً لسِتٍّ مَضَيْنَ من رمضان. **واختلف العلماء أهي صحف موسى أم غيرها؟** على قولين لأهل العلم. ومنهم من توقف فلم يجزم بشيء، قال العلامة ابن عثيمين: يحتمل أنها التوراة ويحتمل غيرها ولم يتبين لي فيها شيء ا.هـ(٢) والله أعلم.

وأما **الزبور** فهو اسم كتاب الله الذي أنزله على نبيه داود عليه السلام بوحي منه سبحانه، وقد نزل عليه جملةً واحدةً لثمان عشرة خلت من رمضان.

وأما **الإنجيل** فهو كتاب الله الذي أنزله على نبيه وعبده عيسى بن مريم عليهما السلام ليكون لبني إسرائيل هدًى ونورًا وموعظةً للمتقين، وقد نزل عليه جملةً واحدةً لثلاث عشرة خلت من رمضان.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) رقم (١٦٩٨٤)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٧٥)

(٢) الكنز الثمين في سؤالات ابن سنيد لابن عثيمين (ص: ٥)

وأما **القرآن** فهو كلام الله المنزلُ على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل، المنقولُ بالتواتر، والمتعبّدُ بتلاوته، وقد أنزله الله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم نزل على نبينا ﷺ بعد ذلك منجمًا ومفرَّقًا حسب الوقائع والأحداث.

وبيّن ﷻ في كتابه الحكمةَ من ذلك حين تساءل المشركون، فقال ربنا ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾ [الفرقان]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قالوا: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ أيْ: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَمَا نَزَلَتِ الْكُتُبُ قَبْلَهُ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ. فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أُنْزِلَ مُنَجَّمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ لِتَثْبِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ا.هـ[(١)]

وقال ﷻ: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]. أَيْ: لِتُبَلِّغَهُ النَّاسَ وَتَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ ﴿ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾ أَيْ: مَهَل ﴿ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ أَيْ: شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.[(٢)]. فنؤمن بأنّ هذه الكتب إنما هي من عند الله وحيٌ، أنزلها الله-سبحانه- فما عرفنا اسمه تفصيلًا نؤمن به تفصيلًا، وما عرفناه إجمالًا نؤمن به إجمالًا، وكلَّ نبي بعثه الله وأنزل عليه كتابًا فنحن نؤمن به كما أمرنا الله ﷻ.

كيفية نزول القرآن:

ونزول القرآن كان نزول سماع؛ سمعه جبريل عليه السلام من رب العالمين ﷻ وسمعه نبينا ﷺ من جبريل عليه السلام غضا طريا.[(٣)]

وهذا النزول المذكور غير الكتابة التي دلت عليها الأدلة التي فيها:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ١٠٩)

(٢) المرجع السابق (٥/ ١٢٧)

(٣) ينظر: فتاوى العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله (١/٢١٤).

١- **أن القرآن الكريم: كتب في اللوح المحفوظ قبل نزوله**: كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة] وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [عبس] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف].

٢- **ثم أنزله الله جملة واحدة** من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

٣- **ثم نزل مفرقاً من بيت العزة على المصطفى** ﷺ حسب الوقائع والحوادث وغير ذلك.

وهذا التفصيل ورد موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق عدة –كما سيأتي- وله حكم الرفع[(١)]. **ولا تنافي بين أدلة نزول القرآن مسموعا وأدلة كتابته قبل نزوله** كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله فقال:كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافى أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذا كان قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله. والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله -كما في جامع تراث العلامة الألباني في الفقه (١١/ ٢٦٨)-: مثل هذا القول لا يُمْكن أن يُقَال بالرأي والاجتهاد؛ ذلك لأنه يتحدث عن بعض الأمور الغيبية، ما يدري ابن عباس رضي الله عنهما وهو لا يُوحَى إليه أن القرآن نزل كتلة واحدة، جملة واحدة إلى السماء الدنيا دون السماء الثانية أو غيرها، ثم ما يدريه أنه نزل إلى مكان يُسَمَّى ببيت العزة، ومن السماء الدنيا، هذه أمور غيبية لا طاقة للبشر أن يتحدثوا بها إلا رَجْماً بالغيب كما يفعل المُنَجِّمون والكُهَّان والعرافون، وحاشا لابن عباس وهو ترجمان القرآن أن يتخرص وأن يتكلم رجماً بالغيب. لذلك يقول العلماء: إن هذا الأثر موقوف في حكم المرفوع؛ لأنه لا يمكن أن يقال بمجرد الرأي ا.هـ وقال أيضا: العلماء يعتبرونه في حكم حديث مرفوع للرسول عليه السلام، لماذا؟ لأنه **أولاً**: يتحدث في أمر غيبي. **وثانياً**: لأنه لا يمكن أن يكون من الإسرائيليات، فإنه يتحدث عما يتعلق بالقرآن ونزوله، وأنه نزل إلى مكان اسمه بيت العزة، وهذا البيت هو في السماء الدنيا وليس في الثانية أو ما فوقها، فقالوا: هذا في حكم المرفوع ا.هـ **وقال الشيخ صالح آل الشيخ** كما في "جلسة مع علي العبدان (ص: ٥)" تخصيص بيت العزة في ذلك هذا لا مجال للاجتهاد فيه، كيف من القرآن نعرف أنه في بيت عزة، وأن هذا نزل في بيت العزة، فهذا يحمل على أنه لا اجتهاد فيه ا.هـ

كيف كان يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف. ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف وهو حق. فإذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذى يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به. **ومن قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه** منها: ... أن قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ ﴾ [الزمر] وقوله ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ ﴾ [غافر] وقوله ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [فصلت] وأمثال ذلك يدل على أنه منزل من الله لا من غيره وكذلك قوله ﴿ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧] فإنه يدل على: إثبات أن ما أنزل إليه من ربه، وأنه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك ا.هـ[(١)]

ذكر ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك:

وقد سُئلتُ عن هذا الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما ونقل لي السائل عن بعض العلماء -ومنهم العلامة ابن عثيمين رحمه الله-، القول بتضعيفه رواية ودراية[(٢)]. فاجتهدت في جمع طرقه والنظر في كلام العلماء حوله وتبين لي أن الصواب صحته رواية ودراية كما تقدم في كلام شيخ الإسلام وإليك بيان ذلك، فأقول:

قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عكرمة ومقسم وسعيد بن جبير.

فأما رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرواه دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **«نُزِّلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَكَانَ إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُحْدِثَ مِنْهُ شَيْئًا أَحْدَثَهُ. هذا لفظ النسائي وفي رواية: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً [واحدة، مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ] إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا [فِي رَمَضَانَ] فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً، [كَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَنْزِلُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم]**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٧).

(٢) انظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٣٣) وشرح العقيدة السفارينية (١/ ٢١٣)

[حَتَّى جَمَعَهُ] [فَكَانَ فِيهِ مَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ وَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ] قَالَ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان]، وَقَرَأَ ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء]»[(١)]

وأما رواية مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرواه السُّدِّيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُجَالِدِ عَنْ مِقْسَمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَأَلَهُ عَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي الشَّكُّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] وَقَدْ أُنْزِلَ فِي شَوَّالٍ وَذِي الْقِعْدَةِ وَذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَشَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّهُ أُنْزِلَ فِي رَمَضَانَ وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ: رُسُلًا فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ.[(٢)]

وأما رواية سعيد بن جبير فجاءت عنه من طرق:

١- فرواه جريرُ بن عبد الحميدِ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ

---

(١) صحيح رواه النسائي في السنن الكبرى (٧٩٣٦، و١١٣٠٨) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٨٧) وابن الضريس في فضائل القرآن (١١٦و١١٧) وحفص بن عمر في جزء قراءات النبي (٧٥) وابن منده في الإيمان (٧٠٣، ٧٠٤) والطبراني في المعجمين الأوسط (١٤٧٩) والكبير (١١/ ٣١٢/١١٨٣٩)؛ والحاكم في المستدرك (٢٨٧٧، ٢٨٧٩، ٣٣٩٠) -وعنه وعن غيره البيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٧، ٤٩٨) وفي دلائل النبوة (٧/ ١٣١)- وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٦٠، ٦١) من طرق عن داود به. والزيادة الأولى لابن مندة وللبيهقي وقوام السنة (واحدة) والثانية لابن أبي شيبة وابن الضريس والطبراني والثالثة والرابعة لابن الضريس والخامسة لابن مندة وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"

(٢) إسناده حسن، رواه ابن أبي حاتم، (١٦٥٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠١) من طريق السُّدِّيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُجَالِدِ. قال ابن أبي حاتم: وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نَحْوُهُ، وَذُكِرَ فِيهِ إِلَى بَيْتٍ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ بَيْتُ الْعِزَّةِ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٩١/١٢٠٩٥): حدثنا محمد بن عثمان، ثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، ثنا مصعب بن سلام، عن سعد بن طريف، عن الحكم، عن مقسم، به.

الْقَدْرِ، [إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ] وَكَانَ اللهُ ﷻ يُنَزِّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ، قَالُوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان]»[١]

٢- ورواه جَعْفَرُ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ كَمَا يَزْعُمُ نَبِيًّا فَلِمَ يُعَذِّبُهُ رَبُّهُ؟ أَلَا يُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ يُنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَةَ وَالْآيَتَيْنِ وَالسُّورَةَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ جَوَّابُ مَا قَالُوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ»[٢]

٣- ورواه حُصَيْنٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ جَمِيعًا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا] إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ فُصِّلَ (وفي رواية فرق) فَنَزَلَ فِي السِّنِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة] [قَالَ: «نَزَلَ مُتَفَرِّقًا»]»[٣]

---

(١) إسناده صحيح، رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٦٢٥) وابن الضريس في فضائل القرآن (١١٨) والحاكم في المستدرك (٢٨٧٨و٣٩٥٨) -وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٥) والسنن الكبرى (٨٥٢١) ودلائل النبوة (٧/ ١٣١)- وعن غير الحاكم في شعب الإيمان (٣٣٨٦) وفضائل الأوقات (٨١) -وعلقه ابن منده في الإيمان (٢/٧٠٥)- من طرق عن جرير به. والزيادة الأولى لابن الضريس والحاكم والبيهقي. وقال الحاكم «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٢) رواه ابن أبي حاتم، في تفسيره (١٥١٢٦) بسند حسن عَنْ جعفر به.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٥٠١) عن أبي عوانة، والحاكم في المستدرك (٣٧٨١) -وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٤٥)- عن عمرو بن عون، وابن منده في كتاب الإيمان (٧٠٥) عن سليمان بن كثير، ثلاثتهم عن حصين به. والزيادة من مستدرك الحاكم والبيهقي. وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". واختلف فيه على حصين، فرواه الطبري في تفسيره (١٩١/٣) والحاكم في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣٩٥٩) من طريق هُشَيْمٍ، عَنْ حُصَيْنٍ، **عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ**، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، به وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وتعقبه شيخنا الوادعي فقال: حكيم بن جبير ليس من رجال الشيخين وقد قال الإمام أحمد إنه مضطرب الحديث ا.هـ وروي عن حكيم من طرق أخرى ستأتي.

٤- ورواه حَسَّانُ [(١)]، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَ: «**فُصِلَ (وفي رواية رفع) الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ [في ليلة أربع وعشرين من رمضان]؛ [إِلَى جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ] فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا [جُمْلَةً]، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم [بِجَوَابِ كَلَامِ العِبَادِ، وَأَعْمَالِهِمْ] يُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا» قَالَ سُفْيَانُ: «خَمْسَ آيَاتٍ، وَنَحْوَهَا»**[(٢)]

٥- ورواه سالم بن عجلان الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: «**نزل القرآن جملة، ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما**»[(٣)]

---

(١) جاء في سند النسائي مهملا وسمي في إسناد الحاكم في المستدرك (حسان بن حريث) – ومن طريقه البيهقي- وهو كذلك في إتحاف المهرة لابن حجر. وسمي في أسانيد ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والطبراني (حسان ابن أبي الأشرس) وهو الأقرب. وممن نبه على هذا الاختلاف محقق كتاب الأسماء والصفات، ومؤلف تخريج فتح الباري أنيس الساري.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٧٩٣٧)، وابن مردويه في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير ومن طريقه الضياء في المختارة (١٠/١٥٤/١٥٢)- والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٣٢/١٢٣٨١)- ومن طريقه الضياء في المختارة (١٠/١٥٣/١٥١)-، والحاكم في المستدرك (٢٨٨١، ٤٢١٦) وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٦)- والضياء في المختارة أيضا (١٠/١٥٥/١٤٥) عن الثوري؛ وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٩٠) عن عمار بن رزيق والطبري في تفسيره (٢٨١٢، ٢٨١٣) وابن أبي حاتم في التفسير (١٥١٢٩) عن أبي يحي الحماني والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٨٢) عن عمرو بن عبد الغفار، والدولابي في الكنى والأسماء (٦٤٣) عن جرير كلهم (الثوري، وعمار، والحماني، وعمرو بن عبد الغفار وجرير) عن الأعمش عن حسان به. والزيادات من لفظ ابن أبي شيبة والطبراني عدا الأولى فهي للطبري وسوى الأخيرة فللطبراني من الموضع الثاني وقوله قال سفيان، هذا من رواية النسائي والحاكم. وقال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " وزيادة الطبري من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش وخالف جماعة من أصحاب الأعمش منهم الثوري فلم يذكروها فيتوقف فيها. واختلف فيه على الأعمش، فرواه محاضر كما في فضائل القرآن لابن الضريس (١٢١) عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن (١١٩) عن يَحْيَى بْنُ عِيسَى الرَّمْلِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَسَّانَ يَعْنِي أَبَا الْأَشْرَسِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَجُعِلَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ» لم يذكر ابن عباس. وتابعه جرير كما في الكنى والأسماء للدولابي (٦٤٣) فرواه عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَسَّانَ أَبِي الْأَشْرَسِ، عَنْ سَعِيدٍ، قوله.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣٨/١٢٢٤٣) حدثنا علي بن سعيد الرازي، ثنا علي بن المثنى الطهوي، ثنا زيد بن الحباب، ثنا شريك، عن سالم به.

٦- ورواه مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﵄ قال: «أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على رسول الله ﷺ في عشرين سنة جواب كلام الناس»(١).

٧- ورواه حَبِيبُ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى رُفِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ»(٢)

٨- ورواه أبو سَلَمَةَ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ -وهو ضعيف-، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ وَ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾، وَعَنْ ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ أَكُلُّهُ أَمْ بَعْضُهُ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: " أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَجُعِلَ عِنْدَ مَوَاقِعِ النُّجُومِ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾ [الواقعة] الْمَلَائِكَةُ، وَيَنْزِلُ بِهِ جِبْرِيلُ ﵇، كُلَّمَا أُتِيَ بِمَثَلٍ يَلْتَمِسُ عَيْبَهُ، نَزَلَ بِهِ كِتَابُ اللهِ نَاطِقًا، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾ [الفرقان]؛ وَقَرَأَ: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ ﴾ [الإسراء]»(٣)

٩- وتابعه شَرِيكٌ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، في

---

(١) رواه أبو القاسم التيمي الملقب قوم السنة في الترغيب والترهيب (١٨١٩) قال: أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا أحمد بن موسى، ثنا عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن، ثنا محمد بن يونس بن موسى، ثنا علي بن الحسن المقري، ثنا يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعمش، عن مسلم به.

(٢) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٢١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَاضِرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبٍ به. واختلف فيه على الأعمش كما تقدم في رواية حسان.

(٣) رواه ابن أبي حاتم، في تفسيره (١٥١٢٧، ١٥١٤٠ مختصرا) معلقا من طريق أبي سلمة به.

قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ [الواقعة] قَالَ: «**الْقُرْآنُ**» وفي قَوْلِهِ ﷻ ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ ﴾ [الواقعة] قَالَ: «**بِنُجُومِ الْقُرْآنِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِرَقًا قِطَعًا نُجُومًا**»(١)

١٠- وخالفهم سلمة بن كهيل فرواه عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قوله(٢).

ذكر بعض كلام أهل العلم في الحديث:

قال الطبري ؒ: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فَإِنَّهُ ذكر أَنَّهُ نَزَلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْزَالَهُ إِلَيْهِ. (٣)

وقال الآجري ؒ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ جُمْلَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. (٤)

وقال السهيلي ؒ: فَصْلٌ: وَذَكَرَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾. إلَى آخِرِ الْآيَةِ مُسْتَشْهِدًا بِذَلِكَ عَلَى أَنّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ رَمَضَانَ وَهَذَا يَحْمِلُ تَأْوِيلَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بَدْءَ النّزُولِ وَأَوّلَهُ لِأَنّ الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ. **وَالثّانِي**: مَا قَالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ ﭭ: أَنّهُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... **وَهَذَا التّأْوِيلُ أَشْبَهُ بِالظّاهِرِ وَأَصَحّ فِي النّقْلِ** وَاَللّهُ أَعْلَمُ(٥).

وقال القرطبي ؒ: **وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ**-

---

(١) رواه البغوي في مسند ابن الجعد (٢٢٦٢، ٢٣٦٣، ٢٣٦٥) مفرقا مختصرا حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، أنا شريك به وفي (٢٣٦٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ الْخَرَّازُ، نَا شَرِيكٌ، بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤) رقم (١٢٤٢٦) قال: حدثنا عبيد بن غنام، ثنا علي بن حكيم الأودي، ثنا شريك، به.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٥٤) فقال: نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ - وَذَكَرَهُ السُّدِّيُّ وَالْأَعْمَشُ - قَالَ: نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ فذكره مختصرا.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/ ١٨٨)

(٤) الأربعون حديثا (الحديث ٩)

(٥) الروض الأنف ت السلامي (٢/ ٢٧١)

عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ - جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ كَانَ جِبْرِيلُ ﷺ يَنْزِلُ بِهِ نَجْمًا نَجْمًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْأَسْبَابِ، وَذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً. ... وَقَالَ مُقَاتِلٌ ... أُنْزِلَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كُلَّ عَامٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نُزِّلَ إِلَى السَّفَرَةِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي عِشْرِينَ شَهْرًا، ونزل به جبريل في عشرين سنة. قُلْتُ: وَقَوْلُ مُقَاتِلٍ هَذَا خِلَافُ مَا نُقِلَ مِنَ الْإِجْمَاعِ... ا.هـ(١)

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّمَا نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْهُ، ... ثم نَزَلَ بعدُ مُفَرَّقًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ ... هَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وقَالَ فَخْرُ الدِّينِ: وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةِ قَدْرٍ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى إِنْزَالِهِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ اللَّوْحِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَتَوَقَّفَ، هَلْ هَذَا أَوْلَى أَوِ الْأَوَّلُ؟ وَهَذَا الذِي جَعَلَهُ احْتِمَالًا نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا.(٢).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة ... ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ ... وفي المسند(٣) عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ: أنه قال: «**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**».(٤)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُفَرَّقًا هُوَ الصَّحِيحُ الْمُعْتَمَدُ ا.هـ(٥)

---

(١) التفسير (٢/ ٢٩٧).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٥٠٢)

(٣) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٧٥) وقال البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٦٩): وَإِنَّمَا أَرَادَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ نُزُولَ الْمَلَكِ بِالْقُرْآنِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ا.هـ

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٩)

(٥) فتح الباري (٩/ ٤)

الأمر السابع: القرآن ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها:

الأمر السابع: أن القرآن الكريم هو خاتم الكتب المنزلة من عند الله وأعظمها وأشرفها وأهداها، وهو المهيمن عليها، والناسخُ لها ولشرائعها، والجامعُ لأصولها ومحاسنها، والباقي الخالد إلى قيام الساعة.

فالإيمان بالكتب السابقة هو الإقرار بها بالقلب واللسان، أما الإيمان بالقرآن فيتضمن الإقرار مع الاتباع، والله ﷻ قد ذكر التوراة والإنجيل في سورة المائدة ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [المائدة: ٤٨]، فذكر أن القرآن مهيمنٌ أي: هو الناسخ لجميع الكتب السابقة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷻ: قَوْلُهُ: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ قَالَ: " الْمُهَيْمِنُ: الْأَمِينُ ، قَالَ: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ»(١)

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنْهَا فَهُوَ بَاطِلٌ»(٢)

وقال الحافظ: «وَتَوْجِيهُ كَلَام ابن عَبَّاسٍ ﷻ أَنَّ الْقُرْآنَ تَضَمَّنَ تَصْدِيقَ جَمِيعِ مَا أُنْزِلَ قَبْلَهُ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الَّتِي فِيهِ إِمَّا مُقَرِّرَةٌ لِمَا سَبَقَ وَإِمَّا نَاسِخَةٌ وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي إِثْبَاتَ الْمَنْسُوخِ وَإِمَّا مُجَدِّدَةٌ وَكُلُّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى تَفْضِيلِ الْمُجَدِّدِ»(٣)

وقال ربنا سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر]

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ يقول: هو الحق

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ط هجر (٨/ ٤٨٨)، وعلقه البخاري في الصحيح في تفسير سورة المائدة.

(٢) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٣/ ١٢٨).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٤)

عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل...وقال: في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ... ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان. ... قال: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عَمَل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعَمِل بما دعاه إليه بما فى القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله... إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته إلخ(١)

الأمر الثامن: التحريف الواقع في الكتب السابقة:

الأمر الثامن: أن نؤمن أن كتب أهل الكتاب السابقة للقرآن، وهي التوراة والإنجيل والزبور قد نالها التحريف والتبديل والتغيير والكتمان، كما تقدم. فنحن نؤمن بأصولها أنها من عند الله لكن ما تضمنته من تحريف وتبديل فإن هذا لا يلزمنا، وإنما نؤمن بما عندنا في كتاب الله ﷻ.

حفظ الله ﷻ للقرآن وللسنة المبيِّنة للقرآن:

وأما القرآن فإن الله قد تكفل بحفظه، فما بين الدفتين مما هو مكتوب في المصحف هو القرآن الكريم بغير ارتياب ولا شك، كما ذكر الإمام البيهقي، وقد قرأنا عبارته، وهي عبارة دقيقة يقول: "أن نعتقد أن جميع القرآن الذي تُوُفِّيَ النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يَفُتْ منه شيء، ولم يَضِعْ بنسيان ناسٍ ولا ضلال صحيفة ولا موت قارئ ولا كتمان كاتم، ولم يُحرّفْ منه شيء، ولم يزد فيه حرف ولم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/ ٣٧٤)

ينقص منه حرف".

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] فالله-سبحانه- قد حفظ هذا الكتاب. بل وحفظ ﷻ السنة المطهرة التي هي بيان من رسولنا ﷺ لهذا الكتاب.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت]

يقول البيهقي رحمه الله: "من أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن أو نقصانه منه أو تحريفه فقد كذّبَ اللهَ في خبره، وأجاز الخلف فيه، وذلك كُفْرٌ، وأيضًا فإن ذلك لو كان ممكنًا لم يكن أحد من المسلمين على ثقة من دينه ويقين بما هو متمسك به؛ لأنه كان لا يأمن أن يكون فيما كتم من القرآن أو ضاع بنسخٍ شيءٌ مما هو ثابت من الأحكام أو تبديله بغيره، وبسط الحليمي الكلام فيه، فصَحّ أن من تمام الإيمان بالقرآن الاعتراف بأن جميعه هو هذا المتوارث خلفًا عن سلف لا زيادة فيه ولا نقصان منه"(١).

إذًا هذه أمور يجب أن نعتقدها في إيماننا بالكتب. فإذا قال: آمنت بكتب الله، فالمقصود: اعتقاد هذه الأمور التي نصَّ عليها العلماء رحمهم الله فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي أمرنا الله ﷻ بها. والقرآن الذي هو كلام الله ﷻ هو الكتاب الذي جعل الله فيه هداية البشرية بعد بعثة النبي ﷺ.

الكتب السماوية مجتمعة على الدعوة إلى توحيد الله:

وهذه الكتب العظيمة دعت إلى أصل واحد، وهو توحيد الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]

---

(١) شعب الإيمان (١/٣٣١).

من آثار الإيمان بالكتب المنزلة:

قال العلماء من آثار الإيمان بالكتب المنزلة:

* **العلم برحمة الله** تبارك وتعالى، فإذا تأملت فيما أمرك الله ﷻ به من الإيمان بالكتب فإنك تستيقن أن الله رحيم بالناس، ومن رحمته أن أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب المبينة والموضحة، فهذه رحمة من الله ولطف بعباده حيث أنزل للناس كتبًا تهديهم إلى صراطه المستقيم، وتُبيِّن لهم سبيله القويم، وترشدهم إلى ما يحبه ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه، فالعقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة ذلك كله.

* ثم من آثار ذلك أيضًا: **ظهورُ حكمة الله -تعالى- في شرعه**: حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسب حالها. فديانة الأنبياء أصلها واحد، وهو التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له لكن شرائعها تختلف بما يناسب كل حال.

فإن موسى عليه السلام لما جاء بالتوراة جاء فيها بشريعة لقومه تناسب حالهم وتناسب ما هم عليه. ثم بعث الله جل وعلا عيسى عليه السلام فكان مما قال لقومه: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠] فجاء في الإنجيل بأمر فيه تيسيرٌ لقومه الذين بعثه الله ﷻ إليهم. ثم جاءت شريعة محمد ﷺ، وهي شريعة فيها اليسر والرحمة بالناس أجمعين. يقول الله جل وعلا في ذكر بعثة نبينا ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فجاءت هذه الشريعة وفيها التيسير.

القرآن صالح لكل زمان ومكان:

ففي كل كتاب وفي كل شريعة من الأحكام ما يتناسب مع ذلك الزمان وذلك الحال. ثم جاء القرآن الخاتم مناسبًا لجميع بني الإنسان في مختلف العصور والأزمان، فهذه الشريعة المطهرة شريعة محمد ﷺ صالحةٌ لكل زمان ومكان، ومن يَقُلْ غير ذلك فإنه لا يعرف الإسلام الحق ولا يعرف روح هذه الشريعة المباركة.

* كذلك من ثمرات الإيمان بهذه الكتب: **إثباتُ صفة الكلام لله تعالى**: وأنه جل وعلا

يتكلم حقيقة متى شاء وكيف شاء وبما شاء. وأنه يُسمِع من شاء من خلقه كلامَه، كما سمعه جبرائيل عليه السلام بلا واسطة وكما سمعه موسى عليه السلام. قال الله جل وعلا: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [النساء].

* **وكذلك الإيمان بعلو الله** جل وعلا **على خلقه** كما دلّت على ذلك آيات القرآن والسنة المطهرة، فنزول القرآن من عند الله يدل على علوه على خلقه سبحانه وتعالى.

* كذلك من ثمرات الإيمان بهذه الكتب: **شكرُ نعمةِ الله** سبحانه وتعالى **العظيمةِ من إنزال هذه الكتب**، وانظر إلى أُنْسِك وسَلْوة قلبك وفؤادك -يا عبد الله- وأنت تقرأ كلام الله جل وعلا وأنت تقرأ القرآن ستجد فيه الراحة، وستجد فيه الهدى وستجد فيه النور.

يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: «**تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ**»(١)،

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنّ أَصْدَقَ الحدِيثِ كِتَابُ اللهِ**»(٢).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٩٨) -ومن طريقه وطريق غيره البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٣و٥١٤)- وأحمد في الزهد (١٩٢، ١١٢٣) وابنه عبد الله في السنة (١١١و١١٢و١١٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (٣١٠)، والآجري في الشريعة (١٥٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٢٤٤) رقم (١٩، ٢٠) واللالكائي في الاعتقاد (٥٥٨) والحاكم في المستدرك (٣٦٥٢)، ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٦٣) وفي الاعتقاد (ص١٠٣)

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) والنسائي (١٥٧٨)، وأحمد (١٤٣٣٤)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه واللفظ للأخيرين ولفظ مسلم: «فإنّ خَيْرَ الحدِيثِ كِتَابُ اللهِ».

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد لأبيه (٦٨٠، ٦٨١) وفي زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (٧٧٥) وفي فضائل عثمان بن عفان (٦٥) وفي السنة (١٢٢) -ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣٠٠)- عن إسماعيل أبي معمر القطيعي -وهو ثقة- عن سفيان بن عيينة قال: قال عثمان رضي الله عنه: فذكره. وهذا معضل. ورواه حرب الكرماني في مسائله (١١٣٨/٣) عن علي بن المديني والحسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١١٣٣) كلاهما عن سفيان به. وخالفهم أبو عمر بن أيوب الصريفيني -وهو مجهول- فقال: ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسرائيل أبو موسى قال: سمعت الحسن يقول: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: فذكره. رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٢٤)، وفي الاعتقاد (١٠٤) -ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٣٩)- ورواية الحسن عن عثمان مرسلة كما في جامع التحصيل.

فأقبلوا على القرآن إذا أردتم الخير في حياتكم وفي أولادكم وفي أنفسكم، والبركةَ في أوقاتكم والسعةَ في أرزاقكم، فعليكم بكتاب الله، عليكم بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار. وقد صحَّ عند الدارمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «**إِنَّ الْبَيْتَ: لَيَتَّسِعُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ: لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ**»[1]

وليكن لك -يا عبد الله- وِرْدٌ مع كتاب الله جل وعلا، لا سيّما في هذا الشهر، فأكثر فيه من قراءة القرآن.

فصل في ذكر بعض ما روي عن السلف في الاشتغال بكتاب الله:

وعناية السلف بتلاوة القرآن وختمه في رمضان وفي غيره باب واسع جدا فمن ذلك:

ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي ثَلَاثٍ، وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الجمعة[2].

وكان تلميذه الْأَسْوَد بن يزيد رحمه الله يَخْتِمُ الْقُرَآنَ فِي لَيْلَتَيْنِ.[3] - يعني في شهر رمضان[4]. وكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي غير رمضان في سِتٍّ، وَكَانَ **عَلْقَمَةُ** يَخْتِمُهُ فِي خَمْسٍ[5] [وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ يختمه في كل سبع][6]

وكان إِبْرَاهِيم النخعي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ فَإِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ قَرَأَهُ فِي لَيْلَتَيْنِ.[7].

---

(١) تقدم في الجزء ١ ص ٦٦

(٢) تفسير سعيد بن منصور -تحقيق الحميد- (١٥٠)

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢١٤٨) وشعب الإيمان (٢٠٠٠)

(٤) «فضائل القرآن - أبو عبيد» (ص١٨٠)

(٥) «فضائل القرآن - أبو عبيد» (ص١٧٨)

(٦) تفسير سعيد بن منصور -تحقيق الحميد- (١٥٢)

(٧) مصنف عبد الرزاق (٥٩٥٥)

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ الْأَزْدِيُّ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ(١).

وَكَانَ أَبُو مِجْلَزٍ يَقُومُ بِالْحَيِّ فِي رَمَضَانَ، يَخْتِمُ فِي كُلِّ سَبْعٍ.(٢)

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عمه أَبِي الْمُهَلَّبِ قَالَ: كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ ثَمَانٍ، وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ(٣)

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ «كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ»(٤)

وقال ابن سعد: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: كَانَ مَعْرُوفٌ إِمَامَ مَسْجِدِ بَنِي عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ وَكَانَ بِهِ فَتْقٌ وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ فِي ثَلَاثٍ، أَمَّ قَوْمَهُ سِتِّينَ سَنَةً لَمْ يَسْهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُهِمُّهُ»(٥)

وعَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، أنه: «كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، ثُمَّ يُصْبِحُ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْتِمُ فِيهِ صَائِمًا»(٦)

وعَنِ ابْنِ طاووس، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى يَخْتِمَ الْقُرْآنَ، وَكَانَ يَطُوفُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ سُبُوعًا(٧).

وقِيلَ لِلإمام مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّجُلُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ؟ قَالَ: مَا أَجْوَدَ ذَلِكَ إِنَّ الْقُرْآنَ إِمَامٌ لِكُلِّ خَيْرٍ. وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ عُمَرَ بْنِ حُسَيْنٍ -يعني الجمحي- فِي رَمَضَانَ قَالَ: فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يَسْتَفْتِحُ القرآن في كل ليلة. (٨)

وقال الرَّبِيع تلميذ الشافعي: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ سِتِّينَ خَتْمَةً. (٩)

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧١٩٧، ٨٥٩٥)

(٢) المرجع السابق (٧٦٧٧)

(٣) «فضائل القرآن - أبو عبيد» (ص١٧٨) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٣/ ٥٠٠)

(٤) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٦/ ٢٥٩) و«الزهد لأحمد بن حنبل» (٢١٦٢) و«مسند الدارمي» (٣٥٢٨)

(٥) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٦/ ٣٥٦)

(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٤٣ ت الحوت) رقم (٨٥٨٦)

(٧) «أخبار مكة - الفاكهي» (١/ ٢٧٩ ط ٢) (٥٦٨)

(٨) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٦٥) وشعب الإيمان (١٩٩٧) و «ما رواه الأكابر عن مالك لمحمد بن مخلد» (٥٤)

(٩) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص٧٤) وحلية الأولياء (٩/ ١٣٤)

وفي ترجمة الإمام أبي حنيفة من تاريخ بغداد عن مسعر بن كدام قال: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلا يصلي فاستحليت قراءته فقرأ سُبْعاً، فقلت يركع، ثم قرأ الثلث، ثم قرأ النصف، فلم يزل يقرأ القُرْآن حَتَّى ختمه كله في ركعة، فنظرت فَإِذَا هُوَ أَبُو حنيفة. وَقَالَ خارجة بن مُصْعَب: ختم القُرْآن في ركعة أربعة من الأئمة، عُثْمَان بن عَفَّان، وتميم الداري، وَسَعِيد بن جُبَيْر، وَأَبُو حنيفة. وَقَالَ يَحْيَى بن نصر: كَانَ أَبُو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ ربما ختم القُرْآن في شهر رمضان ستين ختمة.(١)

ولَـمَّا حضَرَتْ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْوَفَاةَ بَكَتْ أُخْتُهُ، فَقَالَ: «لَا تَبْكِي -وَأَشَارَ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْبَيْتِ- فَقَدْ خَتَمَ أَخُوكِ فِي تِلْكَ الزَّاوِيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفِ خَتْمَةٍ»(٢)

وفي رواية: لـمّا حضرته الوفاة بكت ابنته، فقال: يا بنيّة لا تبكي أتخافين أن يعذبني الله عَزَّ وَجَلَّ وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟(٣)

ومكث رَحِمَهُ اللَّهُ أربعين سنة يختم في كل يوم وليلة ختمة.(٤)

وقَالَ لِابْنِهِ -وأراه غرفة- يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ فَإِنِّي خَتَمْتُ فِيهَا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ خَتْمَةٍ.(٥)

ولَمَّا نَزَلَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ الْمَوْتُ بَكَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: لَا تَبْكِين، فَقَدْ خَتَمْتُ

---

(١) تاريخ بغداد ط العلمية (١٣/ ٣٥٥)

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٠٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ت بشار» (١٦/ ٥٤٢) -ومن طريقه ابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص١٥٥)-، والشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ١٢١) رقم (٤٦٩)

(٣) جامع البيان في القراءات السبع للداني (٣١١)

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ت بشار» (١٦/ ٥٤٢) وقال الذهبي -في معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص٨٣) وفي سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (٨/ ٥٠٣)-: وروى من غير وجه عن أبي بكر، أنه مكث أربعين سنة أو نحوها يختم القرآن في كل يوم وليلة ا.هـ

(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ٧٩) ومختصر منهاج القاصدين (ص٢٢٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٣/ ١٣٤)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٢٤٢)

الْقُرْآنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَرْبَعَةَ آلَافِ خَتْمَةٍ.[(١)]

وقال الحافظ أبو الفضل صالح بن محمد الرازي: ختمت القرآن أربعة آلاف ختمة.[(٢)]

وكان الإمام البخاري رحمه الله يختم القرآنَ كلَّ ثلاثِ ليالٍ، ويقول: عند كل ختمةٍ دعوةٌ مستجابة[(٣)]

فما أروعه من جيل؛

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على حرصهم في اغتنام دقائق وساعات هذا الوقت.

وقد يستغرب الإنسان: أيعقل أن يقرأ الإنسان القرآن في يوم واحد مرتين؟!

والجواب: نعم، ويعرف ذلك من جرّبه، ومن كان قلبُه وأُنْسُه مع كتاب الله جل وعلا.

أما نحن في هذا الزمان فإننا نُقَرِّبُ المصحف لنقرأ ونُقَرِّبُ معه هذه الجوالات وهذه الملهيات والمُشغِلَات، فربما قرأ الإنسان دقيقة، وانشغل بهذه الملهيات ساعات وساعات -نسأل الله العفو والعافية-.

فتدارك نفسك يا عبد الله.

واجتهدوا -رحمكم الله- في اغتنام ما بقي وسلوا الله القَبولَ لما مضى.

انتهى الجزء الرابع

ويليه الجزء الخامس

الإيمان بالقدر خيره وشره

---

(١) رواه ابن الأعرابي في المعجم (٢٣٣٣) - ومن طريقه الخطيب في تاريخه ت بشار (١١/ ٦٩)، وابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص١٥٤).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ت بشار (١٠/ ٤٣٥)

(٣) «شعب الإيمان» (٣/ ٥٢٤ ط الرشد) رقم (٢٠٥٨) و«تاريخ بغداد ط العلمية» (٢/ ١٢)

المحتويات

الركن الرابع من أركان الإيمان الإيمان بالكتب ٥

المجلس السابع عشر ٧

الشعبة الرابعة من شعب الإيمان الإيمان بالكتب المنزلة ٧

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان ٧

وجوب اليقين في الإيمان بالكتب وسائر أصول الإيمان ٧

ثناء الله على رسله عليهم السلام لتبليغهم كتبه المنزلة ٨

ثناء الله على رسوله والمؤمنين لإيمانهم بالكتب والرسل ٨

ذم المفرقين بين كتب الله ٨

ذم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين ٩

مشابهة المشركين لأهل الكتاب في التكذيب بالقرآن ٩

دليل الإيمان بالكتب من القرآن ١١

إهلاك الله المكذبين بكتبه ١٢

كفر المكذبين بالكتب المنزلة ١٢

دليل الإيمان بالكتب من السنة ١٥

عيب أهل الكتاب على المؤمنين إيمانهم بالكتب ١٧

تكرار ذكر الإيمان بالكتب في سورة البقرة ١٧

الإيمان بالكتب يتضمن جملة من الأمور ١٨

الاقتصار على القرآن ٢٠

التحريف في الكتب السابقة ٢١

النهي عن النظر في الكتب المحرفة والاكتفاء بالقرآن ٢١
حكم الرواية عن أهل الكتاب ٢٣
الأحاديث الإسرائيلية ثلاثة أقسام ٢٦
تتمة في أن الإيمان بالكتب السماوية يتضمن عدة أمور ٢٨
الأمر الأول الكتب السماوية المنزلة كلام الله ٢٨
الأمر الثاني الكتب السماوية تدعو إلى توحيد الله ٢٨
الأمر الثالث وجوب الإيمان بما صحّ من أخبارها ٢٨
الأمر الرابع الكتب السماوية يصدق بعضها بعضًا ٢٩
الأمر الخامس النسخ في الكتب المنزلة ٢٩
الأمر السادس ذِكْرُ ما سُمِّيَ لنا من هذه الكتب المباركة ٣٠
كيفية نزول القرآن ٣١
ذكر ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك ٣٣
ذكر بعض كلام أهل العلم في الحديث ٣٨
الأمر السابع القرآن ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها ٤٠
الأمر الثامن التحريف الواقع في الكتب السابقة ٤١
الكتب السماوية مجتمعة على الدعوة إلى توحيد الله ٤٢
من آثار الإيمان بالكتب المنزلة ٤٣
القرآن صالح لكل زمان ومكان ٤٣
فصل في ذكر بعض ما روي عن السلف في الاشتغال بكتاب الله ٤٥
المحتويات ٤٩

رِيُّ الظَّمآن

بِمَجالِسِ شُعَبِ الإِيمان